رمزية الشرّ في العهد الجديد من خلال أمثال المسيح ورؤيا يوحنا

فتحي المسكيني
(كلية الآداب والعلوم الإنسانية/جامعة القيروان/تونس)
fsd_17@hotmail.com

مقدمة :

يرى بعض الباحثين (فراس السواح) أنّ الديانات الوضعية هي عهد قديم بالنسبة إلى الديانات التوحيدية, وإذا كانت نظرية التأثير والتأثر قائمة مادام الفكر البشري يبنى على تراكم التجارب فإن مجال المراكمة واسع ممتد في جميع المجالات وخاصة في المجال الديني.حيث أخذت الديانات عن بعضها البعض العديد من المقولات اللاهوتية مثل الخير والشرّ وتصورها للجنة والنار وبداية الخلق وأصل الأشياء والمخلوقات ونشأة الأفكار والمعتقدات خاصة .

و قد حظيت مقولة الخير والشرّ في كل الديانات بالاهتمام بل إنّ أغلب الأنشطة الدينية من عقائد وعبادات وسلوك ومبادئ وقيم ترتكز عليهما، ومادامت المسيحية وريثة اليهودية حسب قول المسيح الذي جاء ليكمل لا لينقض الشريعة والناموس فقد تمثل بعض المقولات تمثلا مغايرا جعل الصراع بينه وبين الكهنة ورجال الدين يشتد مستحضرين ملامح صراع قديم بين قوى الخير ممثلة في المسيح وأتباعه وقوى الشرّ ممثلة في اليهود والكهنة ورجال الدين.

عموما لقد كان موقف المسيح من الخير والشرّ مختلفا عن تصور اليهود ما يوحي بأنّ هذه المقولات اللاهوتية هي نسبيّة حسب زوايا النظر إليها وحسب ثقافة كل مجتمع ونمط عيشه وسلوكه وقائده، لذلك تحولت ملامح الصراع الأسطوري بين الخير والشرّ إلى الأرض وبين الشعوب بل حتى بين أبناء الشعب الواحد, ولم يعد الشيطان سوى دالّ أمّا المدلول فتغير حسب نوع الشرور والآثام المرتكبة, هذا ما خلق خطابا جديدا في العهد الجديد يرتكز على الرمزيّة والإيحاء, ولم يعد الشرّ مقتصرا على مصدر وحيد هو الشيطان ولم يعد الشرّ كذلك منحصرا في مصدر وحيد هو العصيان والتمرد بل أصبح كل ما يتعلق بتجاوز المحاذير والنواهي والوصايا التي وردت في الكتب المقدسة .

إنّ المتأمّل في مواعظ المسيح المرتكزة على الأمثال أساسا يلحظ تعدد الرموز والمعاني المتعلقة بالشرّ مثل التركيز على التشويه والإفساد الذي يخالط النظام والترتيب ما يوجب تدخل أحد ما يكون عادة النبي صاحب الرسالة ليعيد الأمور إلى نصابها في التاريخ والواقع، كما يمكن قراءة الترغيب والترهيب في علاقتهما بمدح سلوك ورفض سلوك مضاد وفي تمييز مجموعة عن أخرى تكون عادة مجموعة الأخيار والمؤمنين مقابل مجموعة أخرى تكون الكفار والمشركين والوثنيين، كما يمكن تأويل بعض الرؤى– وخاصة رؤيا يوحنا– وفهم مكوّناتها في ظل توفر قرائن أسطورية موحية بالشرّ مثل التنين والحية والمسيح الضّديد والمسيح الدجال لا تفهم إلا في ظل ربطها بالواقع.

الرمز والإيحاء في النصوص المقدسة:

إنّ الدارس للغة النصوص المقدسة أو النصوص الممتازة حسب عبارة نصر حامد أبو زيد[1] يجد صعوبة في فهمها رغم ما تبدو عليه أحيانا من بساطة تركيب– يقوم على الأمر والنهي في أغلب الأحيان– ووضوح المعاني لأنّها تتوجه إلى عموم الناس، لذلك تحتاج هذه النصوص إلى فقهاء ومفسرين وكهنة وعلماء دين ومبشرين لشرحها وتبسيطها، إضافة إلى أنّ هذه النصوص تتميز عن غيرها من النصوص إلى درجة التعجيز والإعجاز[2] ما يعطيها حياة أطول ودائمة، وديمومتها في غموضها لأنه لا يمكن أن تعتمد على لغة ثابتة ذات معنى ثابت وكل ما حولها في تغيّر وتبدّل، وكما يعتقد بعض الباحثين أن سرّ استمرار الكتب المقدسة نابع من إمكانيات القراءة تحليلا وتأويلا وتفسيرا[3]، وقد تتحول مفردات هذه الكتب من التصريح إلى التلميح ومن الدلالة الحقيقية إلى الدلالة الحافة والرمزية، فالشيطان **واحد** في الأصل لكنه أصبح شياطين وللشر مفهوم محدد أصبح متعدد المظاهر والمعاني .

---

[1] نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ط2000/5، ص 128.

[2] الإسراء88 (قُلْ لَئِنْ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)

[3] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: " قداسة النصوص الممتازة ليس في اختلافها عن غيرها من النصوص ولكن في اختلافها مع ذاتها وهذا الاختلاف لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال فعل القراءة حيث تصبح الطاقة الدلالية للنص غير محدودة". ص 128

لقد كان لليهود ومن خلال احتكاكهم بغيرهم من شعوب المنطقة اطّلاع واسع على فكرة الشرّ ولهم دراية برموزه في التاريخ القديم حسب ما يوضّحه السفر التأسيسي الأول (سفر التكوين) ومادامت البشرية تحيا بشكل رمزي وتدين لمعنى غائب حسب عبارة علي حرب فإنها تعوّل في فهمها الواقع قياسا على نماذج بدئية archétype حسب عبارة كارل يونغ خبرها اليهود انطلاقا من ثقافتهم الشفوية، لذلك عمد المسيح إلى تقريب المعاني الروحية والماورائية في صور طبيعية وحسيّة، فلا وجود للشر كمفهوم لاهوتي مجرّد إلا من خلال المحسوس في الواقع والتاريخ. فالصراع بين الخير والشرّ حدث في "أزمنة الامتلاء" الأولى ويتواصل في تاريخ المسيح واليهود، وقد ركز المسيح في تعاليمه على التبشير بالملكوت وهو الخير الأسمى في مواجهة كل الشرور والآثام. لقد تجاوزت الأمثال المحلية الضيقة والقومية المنغلقة إلى العالمية المطلقة من خلال تركيزها على الأخلاق أكثر من تركيزها على الطقوس التي يرى فيها المسيحيون دافعا لكثرة الخطيئة[1] .

لقد بدأت المسيحية تهدد أهم المقولات المركزية في العهد القديم وهي فكرة شعب الله المختار ورغم تصريح المسيح بأنّه ما جاء لينقض الشريعة والناموس بل جاء ليكمل, لكن اليهود وخاصة رجال الدين والكهنة والكتبة (الصدقيون والفريسيون) رأوا في رسالته تهديدا لمكانتهم وسلطانهم, بفلسفة بسيطة يلخصها في قوله " افْعَلُوا لِلنَّاسِ مَا أَرَدْتُمْ أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ لَكُمْ هَذِهِ هي خُلاَصَةُ الشَّرِيعَةِ وَكَلاَمُ الأَنْبِيَاءِ"[2].هذا الفهم الجديد للشريعة والناموس أعاد إلى الأذهان صراع الخير والشرّ وانقسم اليهود بين مؤيد لدعوة المسيح ورافض لها, وبدأت لعبة التكفير والتكفير المضاد رغم أنّ المسيحيين كانوا يعتقدون أنّ المسيح في حياته وفي مواعظه وفي بشاراته لم يكن تكفيريا ولم يضع نفسه في مرتبة الاختيار, ولم يضع أتباعه في مرتبة القداسة بل اعتبر اليهود على ضلالة وهو صاحبهم, وقد أجاب تلاميذه أنه لم يُرسَل إلاّ إلى الخراف الضّالة من بيت إسرائيل, ورغم ما يفهم من هذا القول على أنّه انتصار لليهود يحد من عالمية رسالة يسوع إلا أنّ اليهود اعتبروا ذلك تهديدا مباشرا لهم فكيف يكونون شعبا مختارا وأبناء الملكوت وهم على ضلالة؟ .

---

[1] غلاطية 3 : 10 – 14/ روما 5 : 20-21

[2] متى 7 : 12

لقد بدأ الشيطان حربه عليهم وبدأت رقعة المواجهات تتسع بين المسيح وأتباعه من جهة وبين طبقة رجال الدين والكهنة من جهة أخرى ما خلق خطابا يرتكز كثيرا على التبشير بالملكوت والترغيب فيه من خلال الدعوة إلى الإيمان القويم إيمانا يقوم على الرحمة والمحبة ولا يقوم على كثرة الطقوس والمحاذير المرتبطة بكثرة المناسبات والأعياد[1].

قراءة في التحذير والتبشير:

يُفتتح إنجيل متّى بجملة من التطويبات (9 مرات) في الأصحاح الخامس يصطفي فيه المسيح صراحة أتباعه من أبناء الملكوت فهم الحزانى والمساكين، والودعاء، والجياع والعطاش إلى البر والرحماء أنقياء القلب، وصانعو السلام، والمضطهدون من أجل البر، تلاميذ المسيح الذين أهانهم الناس واضطهدوهم وقالوا فيهم من أجل المسيح كل سوء[2]، هؤلاء جميعا هم ملح الأرض ونور العالم، وهم أبناء الملكوت، أما الكتبة والفريسيون فإنّ برّهم مشكوك فيه والملكوت محرّم عليهم[3]، لفساد سلوكهم وأخلاقهم وعقائدهم، فهم عميان يقودون أعمى، وهم جهّال ومراؤون يقولون ما لا يفعلون، لذلك حذّر المسيح تلاميذه منهم، ومن التشبه بهم، وبيّن فساد إيمانهم، ثم انهال عليهم بالتهديد والويل بشكل متكرر (8 مرات)في الأصحاح الثالث والعشرين.

هذا الموقف من بعض اليهود صِيغ بالنظر إلى الذات وإلى الآخر فأفرز تعيينا وتحديدا بالقياس إلى نموذج قديم هو النموذج الثنوي في الديانات الوضعية وفي النموذج اللاهوتي المتعلق بصراع الخير والشرّ في الديانات التوحيدية، فإذا كان اليهود ينظرون إلى الآخر على أنّه يمثل الشيطان بامتياز[4]، فإنّ المسيح نظر في الويلات إلى اليهود أنفسهم على أنهم الوجه الشيطاني من المجتمع اليهودي وقد

---

[1] فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ط1، 2004 ص6 "الديانة اليهودية شريعة طقوس مثل نوع الأضاحي المقربة إلى يهوه والحفاظ على السبت والاحتفالات الدينية الدورية والطقوس والعبادات التي يتوجب إقامتها وما يجوز ولا يجوز في كل مناحي الحياة حتى زادت القواعد التي تقيد حياة اليهودي وسلوكه اليومي عن الـ600 قاعدة"

[2] متى 5: 4- 12

[3] متى 5 : 20

[4] Elaine Pagels : L'Origine de Satan : Boyard Edition1995 p10 «Satan a pour ainsi dire fait profession d'être l'autre par excellence»

جرى المسيح في ذلك على نهج من سبقه من أنبياء بني إسرائيل[1] في الإشارة إلى كثرة الذنوب والآثام والخطايا التي يرتكبها الشعب المقدس في المدينة المقدسة وخاصة طبقة رجال الدين الذين يلقي على عاتقهم كل المسؤولية في حمل أوزار الخراف الضالة من بيت إسرائيل.

لقد جاهر المسيح بالعداء وأعلن الحرب على أعداء الملكوت أبناء الشيطان، ومن خلال هذا الصراع الذي عبرت عنه الأمثال شفويا، وعبّرت عنه الرسائل بالتحذير والتبشير لاحقا شجعت على ظهور فكرة جند الرب وجند الشيطان في الفكر المسيحي[2]، وليس في هذا التصنيف استحضار لبعض المقولات اللاهوتية فقط بل قراءة الواقع اليهودي قراءة واقعية ذاتية استنادا إلى نموذج بدئي حاضر بالغياب وبالتالي أصبح كل من يعارض مشروع المسيح الإصلاحي شيطانا متأنّسا وإن كان من اليهود وإن كان من الأتباع والحواريين، وقد خاطب المسيح يهوذا الإسخريوطي بالشيطان على وجه التلميح إلى الخيانة [3] كما خاطب اليهود بأبناء إبليس وأبناء الأفعى وأولاد الأفاعي[4] في إشارة إلى فساد في السلوك والأخلاق والقيم فساد يخرج بصاحبه من دائرة البشر إلى دائرة الشياطين[5] على وجه التمثيل والتقريب بين المعاني تقريبا لغويا باللفظ والدلالة.

إجمالا قد لعبت الأمثال دورا محوريا في الإشارة إلى التمايز بين عالم الملكوت وعالم الأرض والشرور، وفصلت بين عالمي الخير والشر، وإن كان عالم الملكوت ما ورائيا فإنّ أبناءه حقيقيون، وهم أتباع المسيح ومن آمن ببشارته، وأمّا عالم الشرّ

---

[1] "صفنيا 3: 1 4:"إِسْتَمِعُوا يَا رُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَقُضَاةَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ العَدْلَ، وَيُحَرِّفُونَ الحَقَّ، الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيُونَ بِالدَّمِ، وَأُورْشَلِيمَ بِالظُّلْمِ، إِذْ يَحْكُمُ رُؤَسَاؤُهَا بِالرَّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يَعْمَلُونَ بِالأُجْرَةِ، وَيَتَعَاطَى أَنْبِيَاؤُهَا العَرَافَةَ لِقَاءَ الْمَالِ"

- l'origine de Satan, p 9 « Ce point de vue a fini par influencer toute la tradition chrétienne et a encouragé les chrétiens , entre autres chose à S'identifier à Dieu et à diaboliser leurs opposants, d'abord les autres juifs, puis les païens, enfin les chrétiens dits hérétiques »

[3] يوحنا : 70 " أليس أنا اخترتكم انتم الاثني عشرة ومع ذلك فواحد منكم شيطان"

[4] متى: 12-24 انظر أيضا لوقا: 3-7 انظر أيضا يوحنا: 8-44

[5] علم اللاهوت الكتابي, ص8" نسل المرأة (الكنيسة) سيكونون أحلافا لله وهم وحدهم الذين يستحقون أن يشكلوا الإنسانية الحقة أما نسل الحية فيستحسن أن يُبحث عنهم خارج دائرة الجنس البشريّ".

وإن لم يُذكَرْ لذاته فهو لا يحيل في الأمثال إلا على اليهود الذين عاش المسيح بين ظهرانيهم، وتعامل معهم مباشرة، ودخل معهم في جدال وصراع ونقاش انتهى بمحاكمته وصلبه، ورغم أنّ الملكوت في العهد القديم مرتبط ارتباطا وثيقا بالقومية الضيقة فإنه مع المسيح كان يتجه إلى العموم والشمول، ورغم ذلك هدّدهم بإقصاء كانوا يرفعونه في وجه الأغيار والأمم [1] وهي أقسى عقوبة تماثل في رأينا طرد إبليس من الجنّة.

إنّ هذا الاصطفاء والإقصاء تمّ باللغة على اعتبار أنّ الأناجيل نص ثقافي طالته يد التحريف والتبديل لطول مدة التدوين، وهو في تقديرنا خطاب فرضته وضعية المسيح وأتباعه كأقلية يهودية تلقى معارضة وهذا الخطاب نوع من القصاص باللغة من الواقع يصنف الذات ضمن أقلية خيرة تخوض حربا مقدسة ضد أغلبية شريرة تُستنفَر ضدها كل الإمكانات والطاقات والوسائل، بدءا باللغة مرورا بالحلم والرؤيا وتوهم النصرأحيانا، وصولا إلى ادعاء القداسة باستدعاء قوى الخير من ملائكة لمعاضدة مجهود الأقلية المضطهدة[2]

الأمثال بين التصريح والتلميح:

تعد الأمثال في العهد الجديد ظاهرة لافته لا من حيث الكم فقط[3] بل من حيث كيفية بنائها ومن حيث غاياتها وأهدافها ورغم أنّ طريقة البناء ليست ذات أهمية من الناحية الدينية إلا من حيث الإعجاز اللغوي إلا أنّ الغاية والهدف من أوكد المقاصد في الأديان عموما، حتى أنّ تلاميذ المسيح سألوه لماذا يكلم اليهود بأمثال فأجاب بأنّ ذلك سر من أسرار الملكوت لا ينبغي لغير أتباعه معرفته وهو نوع من التحدي والعقاب لليهود "فَهُمْ يَنظرُونَ دُونَ أَنْ يُبْصِرُوا وَيَسْمَعونَ دُونَ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَفْهَمُوا"[4].

---

[1] متى: 8-11 : "إنَّ كَثِيرينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَيتَّكِئُونَ مَعَ إبْرَاهِيمَ وَإسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، أَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ (اليهود) فَيُطْرَحُونَ إلَى الظُّلْمَةِ الْخَارجِيَّةِ".

[2] قتال الملائكة إلى جانب المسلمين في غزوة بدر

[3] أحصى بعضهم 27 وآخرون 30 وآخرون 31 وآخرون 50 مثلا في العهد الجديد وأكثر أمثال المسيح موجودة في إنجيل لوقا 28 ويذكر متّى 20 ويذكر مرقس 9 وتتفق الأناجيل الثلاثة على سبعة منها فقط " قاموس الكتاب المقدس ص 840 .

[4] متى10:13-17

إنّ السؤال الأهم بعد تصريح المسيح بمقاصد الأمثال هو اعتبار رسالته محلية وليست عالمية كما يُرَوَّجُ لها إضافة إلى سؤال آخر لا يقل أهمية وهو جدوى الغموض في رسالة يراد منها أن تكون واضحة ومفهومة للجميع ؟

لم يثبت تاريخيا أنّ المسيح أنشأ ديانة أسرارية تعتمد التقيّة وتعتمد على تراتبية كهنوتية ضيقة رغم ذهاب البعض إلى أنّ المسيح ينتمي إلى فرقة الأسينيين وهي ثالث أكبر الفرق اليهودية التي تشترك مع المسيح في دعوته إلى النور ومقاومة قوى الظلام والشر[1]، إضافة إلى أنّ المسيح قاوم اليهود علنا وليس في السر وبالتالي فإنّ القول باعتماد الأمثال لغة خاصّة لتعليم الأتباع فقط حجة ضعيفة من حيث المنطق لأنّ لغة الأمثال صيغت بلغة اليهود وهي مشترك بين الجميع إلا إذا كان المسيح قد اعتمد التشفير وتصبح الدلالة في مستطاع المقربين فقط وهذا مستبعد، ولم يبق من الاحتمالات سوى الاجتهاد في ربط الدلالة الحافة أو الرمزية بالدلالة الحقيقية أو الواقعية من خلال التأويل أو إيجاد نقاط التقاء بينهما.

إنّ الشرّ مفهوم مجرد لا يتحقق إلا من خلال فعل نقدّر وفقا للقوانين والأعراف والأخلاق أنّه شرّ والقائم به شخص واقعي تاريخي شرّير أو شيطان، ومع أنّه لا أحد من البشر يكون كالشيطان في الماهية أو الشكل والهيئة–إن تأكد أن هناك من رآه– إلا أننا لا نعدم صلة الربط بينهما من خلال صنع الشر، فالرّبط حاصل بالتقريب بين الصورة والرمز، والفصل حاصل بخصوصية كل منهما، وقد شبّه ميشال ميسلان في كتابه "من أجل علم الأديان" في فصل "الأساطير والرموز" العلاقة بين الصورة والرمز أو بين الدلالة الواقعية والدلالة الرمزية بالعلاقة بين أجزاء القارورة أو الخشبة المكسرة حيث أنّ إعادة التركيب أو التقريب بين الأجزاء المهشمة تدل على اتحادهما، كما تدل على أنّ الوحدة الحاصلة بقيت واضحة خلال الانفصال[2].

إنّ قيمة المثل مزدوَجَة يتنازعها الوضوح والغموض في آن، وقيمته أيضا في قدرته على تبليغ الرسالة بأيسر السبل، وتجتمع فيه طاقات دلالية لا تجتمع في

---

[1] هنري عبودي : معجم الحضارات السامية ,قروس براس ط 1991/2 ص79-80

[2] Michel Meslin : Pour une science des religions. Editions du seuil 1973/ P197.

غيره من الكلام كما قال إبراهيم النظام[1]، ورغم ذلك تظل لغة الأمثال على بساطتها غامضة، وكثيرا ما تُوضّح بتفسير متمّم يشرح محتواها ويبسّطه، حتى أنّه لم يعد لبعض المفاهيم الغيبية وجود مفارق أو ميتافيزيقي[2] بل نزّلها المسيح في واقع اليهود تنزيلا براغماتيا هدف من خلاله إلى توضيح رسالته بطريقة مخالفة للعهد القديم المثقل بالتفاصيل والمغرق بالحيثيات والتكرار، ونستعرض في هذا الجدول بعض أهم الأمثال ونقارنها ببعضها من خلال إنجيلي متى ولوقا لبيان مستوياتها ودراسة مكوناتها اللفظية والدلالية .

أمثال متى			أمثال لوقا		
المثل	الموقع	الصيغة والدّلالة الرمزيّة	المثل	الموقع	الصيغة والدلالة الرمزيّة
الملح الفاسد	13 : 5	أنّه لا يعود يصلح/ الفساد وعدم الصلاحية	الملح الفاسد	:14 35	يطرح خارجا
مصباح تحت المكيال	14 : 5	لا يضيء الناس مصباحا ثم يضعونه تحت مكيال، نور خافت لا يرى /عدم النفع	المصباح المخفي	16 : 8	الظلمة
الشجرة الجيدة والشجرة الرديئة	17 : 7	تثمر ثمرا جيدا/ تثمر ثمرا رديئا كل إناء بما فيه يرشح	التين غير المثمرة	6 : 13 -7	عدم النفع
بيت على	27 : 7	سقط/لم يسقط	بيت بلا	49 : 6	عدم

[1] سميح عاطف الزين،الأمثال في القرآن، دار الكتاب اللبناني ط1، 1987" تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكفاية فهو نهاية البلاغة" ص21.

[2] قاموس الكتاب المقدس ص 838" المقصود بالمثل غالبا هو قصة مؤسسة على أمور مفهومة توضح المعاني الروحية"

الرمل/ بيت علي الصخر		من يعمل بقول المسيح يثبت والعكس صحيح	أساس		الثبات والسقوط
الرقعة الجديدة في الثوب العتيق	9 : 16	لا أحد يرقع/ الخرق أسوأ التنافر والتشويه والفساد	الرقعة الجديدة في الثوب العتيق	5 : 36	التّشويه
خمرة جديدة في قرب عتيقة	9 : 17	لا يضع الناس/ تنفجر تتلف الإفساد والتشويه	خمرة جديدة في قرب عتيقة	5 : 37	الفساد
مثل الخراف بين الذئاب	10 : 16	احذروا من الناس/ يسلمونكم/ يجلدونكم الأذى والمخاطر في سبيل نشر المسيحية	مثل الحملان بين الذئاب	10 : 3	الأذى والمخاطر
زرع البذور بين الشوك/في أرض جيدة	13 : 1-9	طلع الشوك وخنقه/أثمر أضعافا الاختناق والموت/النمو والزيادة	مثل زارع البذور بين الشوك	8 : 12	لا ينبت / الموت
العميان يقودون أعمى	15 : 12	كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يقلع الوقوع في الحفر والهلاك	مثل العميان يقودون أعمى	6 : 39	عدم الوصول إلى هدف
خمير الفريسيين	16: 11-12	خذوا حذركم خبز مغشوش/ تعليم زائف	خمير الفريسيين	12 : 1	الرياء والغش
مثل المزارعين القتلة	21: 33-41	الأشرار يهلكهم شرّ هلاك خيانة الأمانة / رفض الحق	مثل المزارعين القتلة	20:9-15	رفض المسيح
العبد الأمين	24:	يقيمه على ممتلكاته/	الوكيل	16:1-	الطرد

والعبد الشرير	48-51	يفصله الوفاء=التكريم/ الخيانة=الطرد	الخائن	8	واللعنة
الأمثلة المختلفة					
مثل القمح والزّوان	13 : 38-50	الزرع الجيد بنو الملكوت/الزوان بنو الشرير امتزاج الضار والنافع	الفلاح ينقي بيدره	3 : 18	جزاء الخير والشرّ
مثل الشبكة	13 : 48-50	اجمعوا ما كان جيدا واطرحوا الرديء إبقاء النافع /طرح الرديء	مثل الباب الضيق	24:13 - 25	صعوبة المرور
مثل العذارى الجاهلات والعذارى الحكيمات	25 : 10-19	فدخلت المستعدات/ لا أعرفكن القبول في الملكوت والإقصاء منه	مثل الغني الغبي	15:12 -21	غنى دنيوي / الهلاك
الخراف والجداء	25 : 32-42	باركهم أبي=الحياة الأبدية/ملاعين= النار الأبدية فصل الخير عن الشر			

تتركب الأمثال من مستويات مختلفة، تقوم على التقابل بين التراكيب(إبقاء النافع /طرح الرديء// بيت مؤسس على الرمال يقابله بيت مؤسس على الصخر//وخمير الفرسيين يقابله خمير الملكوت/ ثم الثوب العتيق يقابله القماش الجديد//والخمر الجديدة يقابلها خمر عتيق) كما تقوم على التقابل بين الألفاظ(جديد/عتيق//رديء/جيد// يقيم/ يفصل) هذه الثنائيات المتضادة والمتنافرة توحي دلاليا بأنّ الجمع بين الضدين غير ممكن لا من جهة المنطق والعقل ولا من جهة الواقع. لذلك نرى أقوال المسيح في الأمثال تركّز على بيان القبح والتنافر وتدعو إلى ضرورة الفصل بين الأضداد، وللدلالة على الخير يخالطه الشرّ ومدى الفساد والتشويه الذي يُلحقه الثاني بالأول يضرب المسيح مثلا مركبا من صورتين واقعيتين قائلا : لاَ أَحَدَ يَرْقَعُ ثَوْبًا عَتِيقًا مِنْ قُمَاشٍ جَدِيدٍ" و"لاَ يَضَعُ النَّاسُ الْخَمْرَ

الْجَدِيدَةَ فِي قِرَبٍ عَتِيقَةٍ" ثم يبين سبب المنع أو النهي قائلا:" لِأَنَّ الرُّقْعَةَ الْجَدِيدَةَ تَنْكَمِشُ، فَتَأْكُلُ الثَّوْبَ الْعَتِيقَ، وَيَصِيرُ بِالْخَرْقِ أَسْوَأَ" ولا أحد يضع الخمر الجديدة في القرب القديمة "وَإِلاَّ فَإِنَّ الْقِرَبَ تَنْفَجِرُ، فَتُرَاقُ الْخَمْرُ، وَتَتْلَفُ الْقِرَبُ"[1].

وقد ذهب فراس السواح في تفسير هذا المثل إلى رفض المسيح لصب خمر الإنجيل وهي شريعة يسوع في أوعية قديمة وهي شريعة العهد القديم[2]، ثم يستوقفنا مثل آخر هو أشهر الأمثال على الإطلاق وهو مثل القمح والزؤان ويمكن اعتباره تشبيها تمثيليا لقيامه على صورتين مركبتين من مجموعة من العناصر تنتمي إلى حقلين دلاليين مختلفين لا يلتقيان إلا من حيث الدلالة على النفع والضرر، والخير يخالطه الشرّ أو يمتزج به، ففي المجموعة الأولى نجد الزارع والزرع والحقل ثم العدو يبذر زؤانا وسط القمح، فينمو القمح والزؤان معا، ويسأل العبيد سيدهم تنقية الحقل من الشوائب، فيمنعهم إلى حين موسم الحصاد ليفصل بينهما فيجمع القمح، ويحرق الزؤان ثم يتبع هذا المثل بتفسير توضيحي. "فَالزَّارِعُ الزَّرْعَ الْجَيِّدَ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ، وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ، وَالزِّوَانُ هُوَ بَنُو الشرّير، أَمَّا الْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَ الزِّوَانَ فَهْوَ إِبْلِيسُ، وَالْحَصَادُ نِهَايَةُ الزَّمَانِ، والْحَصَّادُونَ هُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَكَمَا يُجْمَعُ الزِّوَانُ وَيُحْرَقُ بِالنَّارِ، هَكَذَا يَحْدُثُ فِي نِهَايَةِ الزَّمَانِ"[3].

يربط هذا المثل واقعين مختلفين أحدهما واقعي أرضي يحيل على عالم الفلاحة والزراعة والآخر لاهوتي يحيل على عالم الغيب يشتركان في الفصل بين النافع والضار أو بين الصالح والفاسد أو المرغوب فيه وغير المرغوب فيه، وتصبح بلاغة المثل ليست في التقريب بين المتنافرات(أرضي/سماوي) بل في الحكمة المُستخلَصَة وهي الفصل بين الخير والشرّ في المطلق، إضافة إلى الإشارة اللطيفة إلى اعتبار الدنيا مزرعة للآخرة، والصراع بين الخير والشرّ سواء كان سماويا أو أرضيا لا بد أن

---

[1] متى 9 : 16 – 17

[2] فراس السواح : الرحمان والشيطان ص267

[3] متى 13: 37-40

ينتهي إلى الفصل وفي الفصل ثواب وعقاب وهو معنى الحرق للزؤان في الدنيا والخلود في النار في العقاب الأخروي.

أبناء الملكوت : أتباع المسيح

وقع ذكر الملكوت أكثر من ثمانين مرة[1] في الأناجيل الثلاثة الأولى متى ولوقا ومرقس وهذا دليل على مركزية هذه الفكرة في الفكر اليهودي المسيحي باعتبار أنّ رسالة المسيح أو كرازته ترتكز على التبشير بالملكوت أكثر من ارتباطها بالطقوس والعبادات[2] وفتح باب التوبة للجميع شرط الإيمان بالمسيح فقط مخلصاً وليس بطقوس المعبد والمذبح وإحياء السبت[3].

ومع أنّ هذه المقولة غيبية إلا أنّ المسيح نزّلها في واقع اليهود وقرّب معانيها من خلال أمثال واقعية مرتبطة بالواقع والحياة اليومية العادية أشدّ ارتباطا، فالملكوت هو (الكنز الحقيقي/ واللؤلؤة) في إشارة إلى القيمة والأهمية، وهو مثل (وليمة الملك/ والحصاد الكثير) في إشارة إلى ملكوت الله واتساعه للبار والآثم وفتح باب التوبة للجميع، ثم يقابل هذه الأمثال مجموعة أخرى تدل على التفريط في الملكوت، وعدم الاستفادة من الفرصة التي أتاحها المسيح للجميع باتباع طريق الحق مثل (العذارى الجاهلات والغني الغبي) وترفد هذه الأمثال مجموعة أخرى تنعت من يكفر بالملكوت ب(العبد الشرير والوكيل الخائن والملح الفاسد والبيت بلا أساس) ومقابل هذه الثنائيات المتعددة نرصد في الأناجيل على اختلاف صيغها وتعبيراتها ثنائيات توحي صراحة بالصراع بين أبناء النور وأبناء الظلام، وفي هذه التسمية الكثير من الرموز التاريخية التي انحدرت من الديانات الثنوية الوضعية مثل الديانة الفارسية التي احتفت بالصراع بين إله الخير "أهورمزدا" وإله الشرّ "أهريمان" فالظلام والنور رمزان لروح الإله الخالق من جهة وروح الشيطان المعارضة من جهة اخرى وقد عبر يوحنا في إنجيله عن الظلمة بأنّها "ظلمة روحية وهي ظلمة البشرية الساقطة"[4]. كما عبر عن المسيح بروح الله وروح الله هو النور والنور ضد الظلمة وفي صراع معها .

---

[1] فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ط1، 2004 ص44

[2] أسس المسيح لصلاة يومية بسيطة مع طقسي العماد Baptême والأفخارستيا Eucharistie

[3] متى12:7-8 «إني اطلب رحمة لا ذبيحة " الرحمان والشيطان ص267 " لقد أسس المسيح من خلال هذا القول لطقوس تقوم على القلب لا على الدم

[4] القس إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا, دار الثقافة,د ت ص31.

بالعودة إلى أساطير الخلق نلحظ أنّ الظلمة كانت رمزا للشر، هذا الرمز انتشر حتى دخل في صلب الديانات التوحيدية وقد اقتنصته المسيحية ومن قبلها اليهودية وجعلتاه في صميم خطابهما الديني إذ نعثر في إنجيل يوحنا: "إنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إلَي الْعَالَمِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَحَبُّوا الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شرِّيرَةً، فَكُلُّ مَنْ يَعْمَلْ الشرّ يُبْغِضْ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إلَيْهِ مَخَافَةَ أَنْ تُفْضَحَ أَعْمَالُهُ"[1].

إنّ هذا التصنيف الذي استعمله الحواريون على لسان يسوع في وسم أتباع المسيحية بأبناء النور ووسم اليهود الرافضين لهم بأبناء الظلام يوحي بثقل الصراع الذي خاضه المسيح وأتباعه ضد اليهود، وفي تفسيره لسبب الكره الذي يلقاه المسيح من اليهود يعلن لتلاميذه قائلا: "إنْ أَبْغَضَكُمْ الْعَالَمُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ أَبْغَضَنِي مِنْ قَبْلِكُمْ، لَوْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ أَهْلَهُ، وَلَكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ، بَلْ إنِّي اِخْتَرْتُكُمْ مِنْ وَسَطِ الْعَالَمِ لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ"[2] ويمكن أن نستنتج أنّ رغبة المسيح في التمايز عن اليهود جعلته يصطنع باللغة عالما لا ينتمي إلى العالم الواقعي الأرضي بل العالم السماوي النوراني حيث المجد والخلود، ويشير المسيح إلى ذلك بنبرة فيها إدانة لأبناء الشيطان وإنصاف وبشارة لأبناء النور "عِنْدَمَا يَعُودُ اِبْنُ ألإنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَمَعَهُ جَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ ...وَتَجْتَمِعُ أَمَامَهُ الشُّعُوبُ كُلُّهَا، فَيَفْصِلُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْض كَمَا يَفْصِلُ الرَّاعِي الْغَنَمَ عَن الْمِعَازِ، فَيُوقِفُ الْغَنَمَ عَنْ يَمِينِهِ، وَالْمِعَازَ عَنْ يَسَارِهِ...ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلذِّي عَنْ يَمِينِهِ تَعَالُوا يَا مَنْ بَارَكَهُمْ أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الذِّي أُعِدَّ لَكُمْ مُنْذُ إنْشَاءِ الْعَالَمِ...ثُمَّ يَقُولُ لِلذِّي عَنْ يَسَارِهِ اِبْتَعِدُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينَ، إلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإبْلِيسَ وَأَعْوَانِهُ"[3].

هذا الفصل بين المعاز والخراف[4] أو بين أهل اليمين وأهل اليسار أو أبناء الملكوت وأبناء النار الأبدية يضع الحدود في الواقع بين أتباع المسيح وأعدائه، وأعداء المسيح أكثرهم من اليهود لأنّه سبق وأن بشّرهم بالطرد من الملكوت، فلا

---

[1] يوحنا 3:3-19

[2] يوحنا15 :18-19

[3] متى25: 31-...47

[4] سيد القمني: الاسطورة والتراث, دار سينا للنشر، ط 1993/2 ص46 "يذهب سيد القمني إلى حد الاعتقاد بأنّ رغبة المسيحيين في التميز عن غيرهم من الديانات الوثنية التي تعتقد في الإله "آتيس" أو "تموز" مرموزا إليه بالتيس جعلتهم يغيرون قربانهم من التيس إلى الخروف لإحياء عيد ميلاد إلههم الشهيد"

فضل لهم بالاختيار، ولا عصمة لهم بالعهد مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولكن هذه القراءة قد تحد من عالمية رسالة يسوع ومادام الفصل بين الخير والشرّ غير مرتبط بحدود جغرافية معينة فمن الضروري توسيع القراءة لتشمل الشعوب بأسرها مادام باب الملكوت مفتوحا للجميع .

الصراع بين الخير والشرّ من خلال رؤيا يوحنا:

يعتبر يوحنا التلميذ الحبيب للمسيح حسب قاموس الكتاب المقدس، ولكن البعض الآخر يعتقد أنّ يوحنا لم يعاشر المسيح ولم يكن من بين تلاميذه وليس هو يوحنا ابن زبدي الذي اتكأ المسيح على صدره في العشاء الأخير، وإنجيله المنسوب إليه قد كتب على الأرجح بين عام 100وعام 110م[1] وهو مؤسس كنائس آسيا الصغرى كما يفهم من الرسائل الموجهة إلى القائمين على شؤونها، عموما لقد كان من أكثر كتاب الأناجيل نشاطا خلف ثلاث رسائل بالإضافة إلى إنجيله المعروف باسمه ثم الرؤيا وهي خاتمة العهد الجديد أما على مستوى المحتوى في كل ما خلف فانه يظهر عداء كبيرا لليهود لأنّه يعتبرهم مهندسي مأساة يسوع ويذهب في موقفه العدائي منهم حد ربط الخلاص بالتخلص منهم حين قال على لسان يسوع للسامرية "أَنتُمْ تسْجُدونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلمُونَ أَمّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ لِأَنَّ الخَلَاصَ هُوَ مِنَ اليَهُودِ"[2] .

إنّ هذا الموقف المتطرف من اليهود ليس موروثا من التعاطف مع المسيح في محنته وإنّما هو في ما نعتقد موقف آني وتاريخي من اليهود الذين واصلوا مقاومة الكنيسة على اعتبار أنّ إنجيل يوحنا صيغ بعد أكثر من قرن من وفاة المسيح ولعله لهذا السبب ولبيان أهمية المسيحية كديانة يهودية أصيلة يحاول إرجاعها إلى تاريخ أسبق من تاريخ أنبياء اليهود الآباء رغم عظمتهم في التراث اليهودي والمسيحي. وإنجيل يوحنا على عكس الأناجيل الأخرى لا يهتم بميلاد المسيح وتتبع الأصل الأرضي له على طريقة متى ولوقا بل يتتبع أصل يسوع السماوي ويلتقي مع سفر التكوين في الإعلان عن علة الخلق فالمسيح هو علة الخلق الأولى

---

[1] الوجه الآخر للمسيح ص46.

[2] يوحنا4 : 21

وهو أسبق على كل أنبياء بني إسرائيل فهو روح الله" "بِهِ تَكَوَّنَ كُلُّ شَيْءٍ وَبغَيْرِهِ لَمْ يَتَكَوَّنْ أَيُّ شَيْءٍ مِمَّا تَكَوَّنَ، فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ هَذِهِ كَانَتْ نُورَ النَّاس، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظَّلاَمِ، وَالظَّلاَمُ لَمْ يُدْرِكِ النُّورَ"[1]

ومرة أخرى نعود مع هذا الشاهد إلى الرغبة في التمايز عن الظلمة وهي التي عبر عنها يوحنا بظلمة البشرية الساقطة، وبُغْضُ النور –أي المسيح– لم يصدر عن غير اليهود لذلك يرى بعض الدارسين لإنجيل يوحنا أنّه يتهمهم برغبتهم المحمومة في تحطيم يسوع، ويعتبرهم رمزا للألم البشري[2]. هذه الجرأة في توجيه أصابع الاتهام لليهود صراحة استمرت لقرون طويلة في الضمير المسيحي وخلقت نوعا من الحرج لأتباع المسيحية واليهودية على حد سواء، سارعوا بتلطيفها بخلق نوع من التسويات التي صيغت لاحقا في بعض المجامع المسكونية المجمع الفاتيكاني الثاني(1962-1965) التي حاولت تبرئة اليهود من دم المسيح رغم مجانبة هذه التسوية لمحتوى الأناجيل ورغم الاعتقاد لدى أتباع الديانتين بأن ما حصل واقعي وحقيقي بصرف النظر عن الاختلاف الحاصل حول طبيعة المصلوب[3]. يواصل يوحنا رصد الاختلاف بين المسيح وجماعته وبين اليهود فيقول لهم مؤنبا: "أَنْتُمْ مِنَ الدَّرْكِ الأَسْفلِ وأَنَا مِنَ المَلَإِ الأَعْلَى أَنْتُمْ مِنَ العَالَمِ وأَنَا لَسْتُ مِنَ العَالَمِ"[4].

تتخذ عبارات الأعلى والأسفل أبعادا دلالية تصنيفية تسم الأنا والآخر وتعبر في الآن نفسه عن تراتبية وتفاضل يصل حد التناقض الصارخ تجلى في الشاهد

---

[1] نفسه 1 :3-5

[2] L'origine de Satan p 133 « Sandmel fait remarquer que Jean n'accuse pas «l'humanité » ou « le monde » en général de leurs tentatives acharnées pour détruire Jésus mais désigne le groupe bien spécifique des juifs .....Tous ceux qui lisent l'évangile selon Jean peuvent voir que « les Juifs »y deviennent ce que Rudolf Bultmann nomme un symbole du mal humain »

[3] نوقشت مسألة طبيعة المسيح مطولا في مجمع أفسس الأول سنة431م للرد على بدعة نسطور المتهم بالهرطقة لقوله بالفصل بين طبيعة السيد المسيح اللاهوتية عن الناسوتية وألقت بظلالها مطولا على الفرق المسيحية لمزيد الاطلاع يرجى العودة إلى كتاب موجز تاريخ المسيحية ,تأليف الحبر الأنبا ديوسقورس مكتبة المحبة د ت .

[4] يوحنا8: 23

السابق من خلال البعد بين السماء والأرض ويعبر في الشاهد اللاحق عن شرف الانتساب إلى أبوين مختلفين واحد نوراني الطبيعة وهو أب المسيح والآخر شهواني الطبيعة وهو أب اليهود أي إبليس" أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكِمْ وَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَأَحْبَبْتُمونِي لِأَنِّي مِنَ اللَّهِ خَرَجْتُ وأَتَيْتُ. إِنَّكُمْ أَوْلَادُ أبيكِمْ إِبْلِيسُ وأَنْتُمْ تُرِيدُونَ إِتْمَامَ شَهَوَاتِ أَبِيكِمْ كَانَ مُنْذُ البَدْءِ مُهْلِكًا لِلنَّاسِ لَمْ يَثْبُتْ عَلَى حَقّ مَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ فإذا كُنتُمْ لا تَسْمَعونَ فَلأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللَّهِ"[1] .

إنّ صورة الآخر تبنى دائما في التاريخ لكنها تُشيَّد انطلاقا من أنماط أصيلة عابرة للتاريخ هي التي تؤسس مخيالنا الإنساني[2]، وإذا ما عدنا إلى قصص الخلق في كل الديانات نجدها قد اهتمت اهتماما بالغا بصراع الخير والشرّ وبصراع الظلمة والنور. هذه الثنائيات هي التي تتيح للبشر في أي زمان تفسير كل الظواهر، وتصنيف الموجودات وفق تلك الثنائيات العابرة للتاريخ، وذلك سرّ استعمال شخصيات ورموز وأسماء عابرة للتاريخ، فقابيل رمز لجريمة القتل، والشيطان رمز لجريمة العصيان والتمرد، وكل ما يهدد النظام والاستقرار رمز للسديم والفوضى، وكل ما يمثل الرخاء والأمن ودعة العيش رمز للجنة هذه الرموز لا يزال يتردد صداها في كل الرسائل السماوية المقدسة، وحتى في الآداب والفنون واللغة اليومية المستعملة لكنّ السؤال المطروح هل أن الرسائل السماوية التي أعقبت اليهودية مثل المسيحية والإسلام عاجزة عن بناء رموزها الخاصة بها بعيدا عن النماذج البدئية ؟

إنّ المتتبع لرسائل يوحنا ولرؤياه يلحظ التطور الحاصل في بناء رموز جديدة للشر أصبحت هي الأخرى مرجعا لبعض الديانات اللاحقة مثل فكرة المسيح الدجّال في الثقافة العربية الإسلامية، ولكنّ هذه الرموز ربطت بين الجانب الأسطوري والواقعي إلى درجة أصبح فيها الشيطان حسب يوحنا كائنا متجسدا وليس كائنا مفارقا[3]، تجسد في الأعداء الجدد لكنيسة المسيح، وهم مجموعة كبيرة

---

[1] يوحنا 8 : 41-47

[2] أسماء العريف بياتريكس : الآخر أو الجانب الملعون، ص92 من كتاب صورة الآخر مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 /1999.

[3] L'origine de Satan p 129

من المهرطقين والمسحاء الكذبة والدجالين[1] الذين يمثلون مجمع الشيطان حسب ما توضحه رسائل يوحنا في الجدول التالي :

	المرسل	المرسل إليه	الصيغة ودلالتها الرمزية
1	الذي يملك النجوم السبع بيمينه ويمشي بين منائر الذهب السبع	ملاك الكنيسة في أفسس	دققت في فحص إدعاءات أولئك الذين يزعمون أنهم رسل وما هم برسل فتبين لك أنهم دجالون/تكره أعمال النيقولاويين.
2	الأول والآخر الذي كان ميتا وعاد حيا	ملاك الكنيسة في سميرنا	أعلم تجريح الذّين يدّعون أنهم يهود ولكنّهم ليسوا يهودا بل هم مجمع الشّيطان
3	صاحب السيف القاطع ذي الحدين	ملاك الكنيسة في برغامس	تسكن حيث عرش الشّيطان/ عندك قوم يتمسّكون بتعاليم النيقولاويّين
4	ابن الله الذي عيناه كلهيب نار ورجلاه كنحاس نقي	ملاك الكنيسة في ثيياتيرا	عاتب عليك لأنّك تتساهل مع هذه المرأة ايزابل التّي تدّعي أنّها نبيّة، فتعلّم عبيدي وتغويهم .
5	من له أرواح الله السبعة، والنجوم السبعة	ملاك الكنيسة في ساردس	أنت حيّ بالاسم لكنّك ميّت بالفعل/ أعمالك غير كاملة في نظر إلهي.
6	القدوس، الحق، الذي بيده مفتاح داود	ملاك الكنيسة في فيلادلفيا	الذّين هم من مجمع الشّيطان ويدّعون كذبا أنّهم يهود
7	الحق، الشاهد، الأمين، الصادق، رئيس خليقة الله	ملاك الكنيسة في لاودكية	نصيحتي لك أن تشتري منّي ذهبا نقيّا، كن حارّا، وتب

[1] Elisée Faivre : Personnalité de Satan d'après la Bible, LACOUR Editeur 1993 « Les démons sont envisagés comme les auteurs des fausses doctrines » .P 45

إنّ أحلاف الشيطان حسب الجدول كُثُرٌ تختلف تسمياتهم حسب انتماءاتهم العقدية(النيقولاويين وأتباع النبية إيزابيل) وحسب تصنيف يوحنا لهم، فهم يهود وليسوا يهودا، هم دجالون يكوّنون في النهاية مجمع الشيطان، وهذه الصفة الأخيرة تشير إلى مجموعات يهودية عديدة قاومت المسيحية أو فسّرتها تفسيرا خاطئا واختلفت معها في بعض المقولات الجوهرية مثل عقيدة التثليث وطبيعة المسيح مثل اليعقوبية والنسطورية .

تتواصل حملة يوحنا المشككة في نقاوة برّ اليهود ويكشف زيف ادعائهم بأنهم أنبياء ورسل وفي ذلك إشارة إلى أن كل حركة نبوية أصيلة وحقيقية تُعارض دوما بحركة مزيفة وقد تطورت هذه الفكرة إلى ما عرف لاحقا بالمسيح الدجال"وهو مصطلح غامض لا يفهم إلاّ في إطار صراع الخير مع الشرّ"[1] أو صراع المسيح الحقيقيّ مع المسيح المزيّف أو النبيّ الحقيقيّ والنبيّ الدجّال "ولا يجسّده شخص تاريخيّ بل يدلّ على كل من يعارض مملكة المسيح في المطلق"[2] وقد تطور هذا المصطلح وأصبحت له مدلولات عصرية فسّرها الشيخ القرضاوي في الإجابة عن ماهية المسيح الدجال وما ينسب إليه من صورة مشوهة وعين واحدة بأنها الحضارة الغربية التي تُعلي البعد المادي وتهمل البعد الروحي والعقائدي.

لقد نزع يوحنا أسطورة الشيطان وجعله في إنجيله خلفية arrière plan توحي بضراوة الصراع في تاريخ البشرية بين قوى الخير وقوى الشرّ وقد جعله وفق العقيدة المسيحية متجسّدا مثله مثل الإله في شكل بشري[3]، لكن المفارقة العجيبة أنه يعود في الرؤيا إلى قراءة هذا الصراع الواقعي والتاريخي في صور متخيلة وهو يلتقي مع أنبياء بني إسرائيل في اعتماد الرؤيا (مثل رؤيا النبي دانيال في قصر نبوخذ نصر في بابل).

نعتقد أنّ تعويل يوحنا البشير على الرؤيا جاء لسد الفراغ في باقي الأناجيل فهي قد تحدّثت عن حياة المسيح وموته وقيامته الأولى وأغفلت يوم الدينونة

---

[1] النبوّة في الأديان الكتابيّة، ص 28

[2] Dictionnaire culturelle de la bible, Art (Anti-christ).

[3] « Jean refuse de mettre en scène le diable comme un personnage surnaturel indépendant, au lieu de cela Satan comme Dieu lui-même n'apparaît qu'incarné en une forme humaine » : L'origine de Satan p 141

والحساب، وبما أنّه من الأمور اللاهوتية المعقّدة لم يجد يوحنا أفضل من الرؤيا والتصور يلجأ إليهما لتفسيره وتوضيحه.

وقد استهل هذه الرحلة الروحية بتوجيه رسائل إلى القائمين على الكنائس الآسيوية السبع، وهي رسائل محملة بالتهديد والوعيد، والغاية منها حسب قاموس الكتاب المقدس تعزية الكنيسة وسط الصّراع بين الخير والشر، وإعدادها لمجيء الرب الثاني، ثم يعقب هذه الرسائل رؤيا مجد المسيح "أسد من سبط يهوذا الذي هو أصل داود" "الحَمَلُ الذي يظهر كأنه كان قد ذُبِحَ" فيكتشف قدرته على فك أسرار الكتب المختومة والتي تحوي دينونة الشعوب والأمم، ثم يرصد ملحمة الصراع الأسطوري بين الشيطان النازل من السماء وجنوده لمهاجمة الكنيسة مرموزا إليها بامرأة تلد من جهة ثم الملاك ميكائيل زعيم الملائكة من جهة أخرى للدفاع عنها، فينتصر على قوى الشرّ ورموزه فـ"يطرح إبليس الذي كان يضلّلهم في بحيرة النّار والكبريت حيث الوحش والنبيّ الدجال" ثمّ يتجلى للرائي انهيار المدن الزانية مثل بابل وهي رمز لكل مدينة تعارض المسيح وكنيسته ثم تنتهي برؤيا الكنيسة المثالية عروس المسيح أو أورشليم الجديدة[1]

تبدو الصّورة في هذا الصّراع كئيبة، توحي بهيمنة الشرّ لكنّ قدرة التّنانين والوحوش على الغواية تظل وقتية وضعيفة أمام قدرة الحَمَل على التّكفير عن الذّنوب والشرور والآثام جميعا، ويعتقد بعض المفسّرين أن الله لم يسمح لآدم بالخطيئة إلاّ لأنّه يعلم أنّ المسيح سيمحوها[2] عن طريق الموت على الصّليب، وقد نجد في الجرح الذي يحمله الوحش ثمّ شُفِيَ منه، وآثار الذّبح على الحمل، الفرق بين الفداء الحقيقيّ والفداء المزيّف (صنع عجائب)، إضافة إلى أنّ الرّؤوس السّبعة هي أرواح الشّيطان التّي تعارض أرواح الله السبع[3]، وهي على كثرتها لم تحدّ من النّعمة. فمن كانوا ممهورين بعلامة الوحش فهم للنّار، ومن كانوا موعودين للخلاص فإنّهم وحدهم يعرفون "ترتيلة المجد" (رؤيا 14: 3) وهم الأسباط الإثنا عشر(رؤيا 7: 4-8)

---

[1] لمزيد الاطلاع يرجى العودة إلى قاموس الكتاب المقدس للاطلاع على أقسام الرؤيا ص ص394-395

[2] الرّحمان والشّيطان، ص 254.

[3] يشير العدد 7 في الكتاب المقدّس إلى الكمال. قاموس الكتاب المقدس ص 394 "أنظر في الرؤيا" (الأرواح السبع/النجوم السبع/ ...)

إنّ هذه المواجهة المفتوحة في نهاية "العهد الجديد" بين قوة الشرّ في الشيطان، والمسيح الدجّال وأعداء الكنيسة، وبين الحمل والأسباط والأتباع تسفر عن نتيجة غير متوَقَّعَةٍ، حسب المنطق العام لكن المنطق الديني يجعل القلّة (الحمل) تغلب الكثرة (الوحش/التنين/الدجّال) ويتجلّى مجد المسيح في تكميل عمله الفدائي الذّي هو في الوقت نفسه دينونة وخلاص. إنّ ما يعنينا في الرؤيا ليس درامية المشاهد الحربية بل تأويل الصراع وقراءته قراءة رمزية تجعل من الغيبي المجرد محسوسا في الواقع والتاريخ، وأمثلة الرؤى في الكتاب المقدس كثيرة ومتنوعة ولا يوحي ذلك بتجذّر هذه الخاصية عند اليهود بل يوحي بحاجة الإنسان إلى تفسير الرؤى وتنزيلها في الواقع وربطها به وإلا لما سعى نبوخذنصر إلى الاستنجاد بالنبي دانيال لتفسير رؤياه ولما بعث فرعون مصر إلى يوسف في سجنه لتأويل حلمه.

خاتمة:

الخير والشرّ مفهومان مجردان مثل غيرهما من المفاهيم لكنّ تجلياتهما في الواقع مرتبطة بما نسبغه على الأشياء من قيمة أو ما ننزعه عنها، فالمجموعات البشرية وبنوع من الاتفاق والإجماع أو لنقل بنوع من التواطىء تُكسِبُ بعض المفاهيم والأشياء قيمة تصل حدّ القداسة، لكن الحد الفاصل بين المقدس والمدنس أو الخير والشرّ أو الملعون والمبارك وغيرها من الثنائيات المتضادة يظل بعيدا عن الموضوعية مرتهنا للذاتية والشوفينية أحيانا، وتعمل الأديان على تغذية هذه النظرة المنغلقة للأشياء وللعالم، فالكل يدّعي الطهر والنقاء وامتلاك الحقيقة المطلقة ويتنصّل ممن يعارضه ويناصبه العداء باللغة قبل الفعل، فيسمه بسمات تحقيريّة تهجينيّة. فالغُلْفُ (جمع أغلف وهم غير المختونين) والبرابرة والكفار وأبناء الجارية وقتلة الأنبياء كلها خطابات مشحونة بالإقصاء وعدم الاعتراف بالآخر تحفل بها الكتب المقدسة على اختلافها. فاليهود شعب الله المختار والمسيحيون ملح الأرض ونور العالم والمسلمون خير أمة أخرجت للناس ولو صحّ هذا الزعم لكان الدين واحدا والبشرية متجانسة، فكيف السبيل إلى هذه العولمة الدينية والكل يقصي الآخر وإن تحاور معه ففي محاولة ليحوّله عن دينه، فهذا يبشر وذاك يدعو والآخر يتقوقع لحماية دينه؟

يظل الخطاب المشحون بالرموز الدينية مثيرا لردود الأفعال الرافضة أو الموافقة خاصة إذا كانت هذه الرموز عابرة للتاريخ مشيدة على نماذج بدئية.

فأمريكا تصف مناوئيها بحلف الشر، وإيران تسم أمريكا بالشيطان الأكبر، وسقوط حسني مبارك في الصحافة العالمية والعربية سقوط لفرعون العصر. وأسر صدام حسين في الصحافة العبرية تذكير بسقوط إمبراطورية نبوخذنصر على يد الملك الفارسي قورش محرر اليهود[1]. هذه الأمثلة المنحدرة من التاريخ صنعها العقل الديني وأكسبها قداسة باستمرارها نموذجا لا تزال البشرية تنتج بالقياس عليه نماذج حديثة. فالإشارة إلى الذات أو الآخر تخضع إلى الانتقاء. ووسم المخالف بأي رمز من هذه الرموز رهين المواقف التمجيدية للذات والمواقف التحقيرية للآخر.

---

[1] يوم وقع صدام حسين في الأسر احتفت الصحافة العبرية عامة بالحدث وعرضت صحيفة يدعوت أحرنوت صورا مهينة للرئيس العراقي مرفوقة بعبارة هذا نبوخذ نصر العراق الجديد في إشارة إلى قصاص أمريكا لليهود منه كما اقتص الملك الفارسي قورش لليهود وحررهم من الأسر البابلي.